عروض الكتب

Public Libraries in the Smart City [1]

(المكتبات العامة في المدن الذكية)

عرض وتعليق

محمود بخيت عبد الرحمن عبد الله

باحث دكتوراه – قسم المكتبات والوثائق وتقنية المعلومات

كلية الآداب – جامعة القاهرة

prof.mbekhit@gmail.com

نعيش الآن في عصر صعود المدن الذكية والحوكمة القائمة على البيانات، حيث تعمل المكتبات العامة كبِنَى تحتية داعمة، مشجعة للمعرفة الرقمية، وكمراكز بيانات مدنيّة؛ لترسيخ التنمية الحضرية، من خلال مجموعاتها وخدماتها ومساحاتها العامة، ومن ثَمّ فإنها تمثل نقطة تلاقٍ لكل ما يتصف بالمعرفة والذكاء، ولا شك أن للمكتبات دورًا مهمًّا في دعم المدن الذكية، حيث اتسعت المكتبة لقطاعات أخرى من الحياة الاجتماعية والثقافية مرتبطة باستراتيجيات التنمية الاقتصادية للمدن التي بُنيت فيها، وأصبح هذا واضحًا بشكل خاص في رؤى "المدن الذكية"، التي أصبحت ممكنة بفضل انتشار تقنيات شبكات الاتصالات.

مؤلفي الكتاب هما:

- Dale Leorke: يعمل حاليًا باحث أول في جامعة Tampere University في فنلندا.
- Danielle Wyatt: وهي باحثة ما بعد الدكتوراه بجامعة ملبورن بأستراليا. شاركت مع ديل لورك في تأليف هذا الكتاب، ولهما كتاب مشترك آخر بعنوان: The Library As Playground: How Games and Play Are Reshaping Public Culture

---

[1] - Leorke, D., & Wyatt, D. (2019). *Public libraries in the smart city*. Palgrave Macmillan.146p.
ISBN 978-981-13-2804-6 (Printed)
ISBN 978-981-13-2805-3 (e-book)

تاريخ استلام البحث: 2022/5/16 تاريخ إجازة البحث: 2022/6/23

يهدف هذا الكتاب إلى الاهتمام بالعلاقة بين تحول المكتبة والدور الذي تلعبه في التنمية الثقافية والاقتصادية وفهم العلاقة بين المكتبة المعاصرة وسياقها الحضري التفاعلي، ويقدم الكتاب ثلاث رؤى فريدة شاملة متعلقة بالمكتبات وتخطيط المدن الذكية وهي كالتالي:

أولاً: يوضح العلاقة بين المكتبات وسياسة التخطيط الحضري حيث عادة ما يتم إهمال المكتبات في منح الدراسات الحضرية، بالإضافة إلى نقص الأبحاث والكتب المتعلقة بالتخطيط الحضري المخصصة للمكتبات، حيث يتم تجميعها عمومًا ضمن فئة واسعة هي "البنية التحتية الثقافية"، ويتم معالجتها بشكل سريع إلى جانب حمامات السباحة والنوادي الرياضية ومراكز التعلم والأماكن الترفيهية الأخرى.

ثانيًا: يبحث في كيفية تشكيل أجندة المدن الذكية بشكل مباشر وغير مباشر لمتطلبات مؤسسة عامة معينة، حيث تركز المنح الدراسية الحالية حول المدن الذكية على البنية التحتية التكنولوجية والمنصات التي تدعم مشاريع المدن الذكية.

ثالثًا: يقدم الكتاب نظرة حديثة للمكتبات من خلال الاعتماد على المقابلات مع مجموعة من المتخصصين في المكتبات وصانعي السياسات، فهُم في طليعة التغييرات والتحديات التي تواجهها المكتبات حاليًا، ومن ثَمّ توضيح التنافر والتوتر بين رؤى الحكومات واحتياجات مستفيدي المكتبات والمجتمعات.

محتويات الكتاب

يناقش الفصل الأول وعنوانه " More Than Just a Library " دور المكتبات العامة داخل المدن الذكية، وكيف أصبح شمول المكتبة لقطاعات أخرى من الحياة الاجتماعية والثقافية مرتبطًا باستراتيجيات التنمية الاقتصادية للمدن التي بُنيت فيها، حيث أصبح هذا واضحًا بشكل خاص في رؤى "المدينة الذكية"، والتي أصبحت ممكنة بفضل انتشار تقنيات شبكات الاتصالات، والتي تتبناها العديد من المدن على أنها فعالة ومبتكرة وصالحة للعيش، كما يناقش الفصل الأهمية الاجتماعية والثقافية للمكتبة.

وقد استجابت المكتبات العامة للاحتياجات والطموحات المتغيرة للمجتمعات التي تخدمها منذ آلاف السنين، وعُرفت المكتبات على أنها مراكز وسائط، حيث تعيد اختراع نفسها

بالتقنيات التي يتم من خلالها الوصول إلي المعلومات وتنظيمها واسترجاعها وأصبحت المكتبة في حاجة للابتكار التكنولوجي والارتقاء بالمجتمع، فالمكتبات تشكل جزءًا من البنية التحتية الاجتماعية التي من خلالها تتجسد التكنولوجيا في الحياة الاجتماعية، فإلى جانب المتاحف والمعارض والجامعات كانت المكتبات العامة أساسًا لترسيخ الثقافة العامة المشتركة وتوفير الوصول الشامل إلى المعلومات، ودعم القدرة على الانخراط والمشاركة بشكل حاسم في المجتمع. وتعد المكتبة العامة فريدة من نوعها بين المؤسسات الثقافية الأخرى؛ لأنها تقوم بأدوار اجتماعية متعددة في وقت واحد، حيث حملت المكتبات العامة على عاتقها مهام تعليم السكان ومحو الأمية وسد الفجوة الرقمية، وعندما اقتضت الظروف الاقتصادية ساهمت بشكل مباشر في الاقتصادات المحلية من خلال إنشاء إدارات تجارية ودعم الصناعات الناشئة.

في حين أن إعادة الابتكار المؤسسي أمر جوهري في تاريخ المكتبة، فمن الواضح أن السنوات الخمس عشرة الماضية كانت فترة تحول مكثف، كان هذا التحول واسع الانتشار باتباع أنماط مماثلة عبر شبكات المكتبات في أمريكا الشمالية وأوروبا والمملكة المتحدة وأجزاء من آسيا والمحيط الهادئ، حيث تُعد الرقمنة أمرًا أساسيًّا لفهم ما أصبحت عليه المكتبات المعاصرة، ولكن هناك أيضًا تغييرات اجتماعية واسعة أخرى تتعلق بثقافة غير متجانسة ومتنوعة بشكل متزايد وتأثيرات الحكم النيوليبرالي على تمويل وإدارة المؤسسات العامة.

لقد تأثرت جميع جوانب المكتبة المعاصرة بهذه التحولات الواسعة سواء من حيث المساحة الفعلية وأنواع الممارسات والسلوكيات التي تدعو إليها وكيفية التعامل مع المؤسسات والمنظمات الأخرى؛ والدور الذي تلعبه في المدينة، والحي، والمجتمع، والاقتصاد.

تعكس التطورات الأخيرة للمكتبة استجابة لمشهد تكنولوجي سريع التغير حيث تحدت المنصات الرقمية هيمنة الكتاب الورقي كوسيلة للتعلم وتبادل المعلومات ولم يعد الوصول إلى المجموعات يعتمد على الوصول إلى المكتبة كموقع مادي، مما اضطر المكتبات إلى إعادة تصور نموذجها المؤسسي بشكل جذري فقامت المكتبات برقمنة مجموعاتها، وأصبحت المكتبة متنقلة ومتصلة بشكل متزايد، وقد سار هذا التجريد من المادية للمكتبة مع الاهتمام المكثف بالمساحة المادية نظرًا لانخفاض الحاجة إلى إدارة الكتب والمجموعات، واستثمرت المكتبات فكرة أنها "أماكن ثالثة" أي أنها مواقع حيوية للتجمعات العامة والاسترخاء والترفيه تقع بين المنزل والعمل،

فأصبحت ذات أهمية اجتماعية أوسع، ليس فقط كمنصات لتوزيع المعرفة، أو كأماكن لبناء المجتمع، بدلاً من ذلك أصبحت المكتبة أصلاً مدنيًا مهمًا للتعامل مع الفرص والتحديات للثقافة الرقمية الناشئة والانتقال إلى اقتصاد المعرفة.

واندمجت المكتبات مع المساحات المجتمعية والتجارية الأخرى مثل: صالات العرض، ومساحات الفنون المسرحية، ومراكز رعاية صحة الأم والطفل، ومكاتب خدمة المجالس المحلية، والمساحات المكتبية، ومراكز التسوق، وحتى حمامات السباحة العامة. في حين أن هذا قد يكون في كثير من الحالات للتسهيل ووضع الخدمات الأساسية معًا لزيادة إمكانية الوصول، إلا أنه يشير أيضًا إلى "عالم بلا حدود"، حيث تعد الطبيعة الهجينة للمكتبات المعاصرة انعكاسًا ومساهمةً في إعادة تشكيل للطريقة التي نعيش ونتعلم ونعمل بها.

فمن الواضح أن إعادة اختراع المكتبة العامة لها أهمية تتجاوز المؤسسة نفسها، حيث يقوم هذا الكتاب بدراسة أسباب وتأثيرات تحول المكتبة ومتابعة بعض التوترات الناشئة في أعقابها، ويعرض كيف أن التغيير التكنولوجي، والأجندات الاقتصادية المرتبطة به، تعمل على تشكيل ما أصبحت عليه المكتبات؛ نظرًا لأن المساحة المادية كانت دائمًا ولا تزال مهمة للمكتبة، فإن فهم أهمية هذا الموقع الديناميكي والمختلط يتطلب تأطيراً لدراسة خارج الجدران الأربعة للمؤسسة، ومن ثَمّ فإن توسيع مفهوم المكتبة ليشمل قطاعات أخرى من الحياة الاجتماعية والثقافية مرتبط باستراتيجيات التنمية الاقتصادية للمدن التي بُنيت فيها، وأصبح هذا واضحًا بشكل خاص في رؤى "المدينة الذكية"، والتي أصبحت ممكنة بفضل انتشار التقنيات الشبكية، والتي تتبناها العديد من المدن لتبرز نفسها على أنها فعالة ومبتكرة وصالحة للعيش.

يكشف الفصل الثاني وعنوانه **"Beacons of the Smart City"** عن تاريخ علاقة المكتبة بالمدينة الذكية، يتتبع الكتاب هذه العلاقة بالرجوع إلى الدور المتزايد الذي بدأت المكتبات تلعبه في السياسات الثقافية والاقتصادية في أواخر القرن العشرين ردًّا على الادعاءات حول زوالها الوشيك، كما يناقش هذا الفصل كيف أصبحت المكتبات متواجدة بشكل متزايد في الأجندات الاقتصادية وسياسات التخطيط واستراتيجيات التنمية للمدن الذكية، ويوضح أيضًا أمثلة من المكتبات عبر آسيا والمحيط الهادئ وأوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية التي تعمل كأعمدة مركزية لمبادرات "المدن الذكية" واستراتيجياتها الرقمية، وذلك من خلال تحديد الطريقة

المزدوجة التي يتم من خلالها دمج المكتبات العامة في تخطيط المدن الذكية، وذلك من خلال: أولًا دمج تقنيات المدن الذكية - أجهزة الاستشعار ولوحات المعلومات وبرامج تحليل البيانات - في النسيج المادي للمكتبات، وثانيًا من خلال دمج خدمات ومساحات جديدة في المكتبات التي تدعم الأجندات الأساسية للمدينة الذكية لتحويل المواطنين والشركات والحكومة إلى "ذكية" و "إبداعية" و "مستدامة" فيما يعرف باقتصاد المعرفة.

ويحدد الخصائص الرئيسية لهذا التحول: استثمار كبير في تطوير المكتبات الجديدة وإعادة تطوير المكتبات القائمة في بعض المراكز الحضرية؛ ودمج خدمات ومساحات جديدة في هذه المكتبات بهدف مساعدة مجتمعاتهم على الانتقال إلى المستقبل الرقمي. ومن خلال دراسة الحالة لمجلس المكتبة الوطنية في سنغافورة جنبًا إلى جنب مع أمثلة أخرى يوضح الفصل الأدوار المتنوعة والمتباينة بشكل متزايد التي يُتوقع أن تلعبها المكتبات في رؤى المدن الذكية للنمو الاقتصادي المستقبلي.

يعتمد الفصل الثالث وعنوانه "**Mixed Metaphors: Between the Head and the Heart of the City**" على البحث الإثنوجرافي من مدينتي ملبورن وجيلونج لدراسة كيفية تهيئة المكتبات في هذه المدن ضمن رؤى مدن ذكية معينة، ويقدم سردًا واقعيًّا للمكتبات في المدينة الذكية من خلال الاعتماد على دراسات الحالة للمكتبات العامة في مدينتي ملبورن وجيلونج الأستراليتين، حيث قامت كلتا المدينتين باستثمارات كبيرة في المكتبات على مدار العقد الماضي، وربطت هذه الاستثمارات باستراتيجيات المدن الرقمية والذكية التي تقودها المدينة، ويقدم الفصل هذا البحث الإثنوجرافي الواقعي لمحة عن الحقائق المجسدة وراء وجود المكتبات في المدينة الذكية، ويكشف عن بعض التحديات والفرص التي تمثلها هذه الاستراتيجية، كما يسلّط الفصل الضوء على كيفية التوافق بين رؤية المكتبات على أنها مساحات مجانية جذابة، ويمكن الوصول إليها، مع دورها الجديد كمحرك للابتكار واقتصاد المعرفة.

يقارن الفصل الرابع وعنوانه "**Metrics, Metrocentricity, and Governance Models: The Uneven Transformation of Libraries**" بين توقعات مساهمة المكتبات في المدينة الذكية، بأطر القياس الحكومية المركزية ونماذج الحوكمة وهياكل التمويل التي تدار من خلالها، بالاعتماد على دراسات الحالة في الفصلين السابقين، كما يسلط الضوء على التفاوت

المذهل بين الطريقة التي يتم بها تقييم المكتبات، والعناصر التي يتم من خلالها تقييمها وتمويلها، ويوضح هذا الفصل الطريقة التي يتم بها قياس المكتبات من خلال أطر التقييم، والتي تحكمها وتمولها مدنها.

كما يوضح هذا الفصل التحديات الناشئة التي تواجهها المكتبات العامة نتيجة لوجودها في المدينة الذكية، فهناك ثلاثة تحديات واسعة: أولاً: هناك فجوة بين التوقعات الجديدة المفروضة على المكتبات وطريقة قياسها وتقييمها من قِبَل المنظمات الحكومية، مع أطر قياس حديثة، ثانيًا: ضرورة وجود نهج متجدد لإدارة المكتبات، ويدعو فيه واضعي الخطط والسياسات إلى التعرف على مساهمات المكتبات الأكثر تعقيدًا وتنوعًا وتشتتًا في حياة المجتمعات التي يخدمونها، وثالثاً: يعرض كيف أن الاستثمار المتجدد في المكتبات متفاوتٌ للغاية، حيث تجذب المكتبات في الأماكن الأكثر تحضراً استثمارات كبيرة على حساب المكتبات الأقاليم والمقاطعات الصغيرة. لقد أدى التحول الرقمي إلى العديد من الفوائد للمكتبات، فلقد حفزت موجة التطور للمكتبات في أستراليا وسنغافورة والعديد من البلدان الأخرى منذ أوائل القرن الحادي والعشرين جذب انتباه المهندسين المعماريين إلى تصميمات تلك المكتبات، ومكنتهم من مواجهة التوقعات بزوال المكتبة العامة من خلال التقادم التكنولوجي وخفض الميزانية بتصميم مباني للمكتبات ذكية ، كما يوضح أن هناك تفاوت وتناقض بين المكتبات في الأعمال "الإبداعية" و "المدينة الذكية" التي تهيمن حاليًا على صنع سياسات المدينة له عيوب عديدة أيضًا حاول الكشف عنها من خلال الاعتماد على المقابلات والعمل الميداني والأدبيات حول تحول المكتبة في القرن الحادي والعشرين، حيث يحدد ثلاثة تناقضات بين الخطاب المتفائل حول المكتبات العامة في المدينة الذكية والواقع الأكثر تعقيدًا في كثير من الأحيان حيث يتم وضع هذه العلاقة موضع التنفيذ.

أولاً: يدرس الدور المتغير للمكتبة في المدينة الذكية والمقاييس المستخدمة لتقييم وتحديد تمويلها.

ثانيًا: يناقش الجدل بأن هياكل الحوكمة حول المكتبات لم تنظر بعد في هذا التحول، مما أدى إلى نهج مخصص لتخطيط المكتبات والدور الذي قد تلعبه في النمو المستقبلي لمدنها.

ثالثاً وأخيرًا: يناقش إعادة توزيع المكتبات وانتشارها بشكل غير متساوٍ وتمركزها في المناطق الرئيسة، وتطويرها في المناطق الريفية كضرورة لتوسيع فوائد دور المكتبة الممتد إلى ما وراء المناطق الحضرية الداخلية الغنية الرئيسة.

وبناء على القضايا الثلاث في هذا الفصل، فإن افتراض بناء عدد قليل من المكتبات الجديدة رفيعة المستوى وذات التقنية العالية سوف يحل مشاكل المدينة أو المنطقة ويمكن تركها تعمل وفقًا للوضع الراهن، كما أن هناك استثمارًا أقل في فهم كيفية تمويل هذه المكتبات وتخطيطها بشكل استراتيجي على المدى الطويل. تُظهر كل هذه المشكلات أن تواجد المكتبات العامة في تخطيط المدن الذكية يتطلب دراسة طويلة المدى حول التمويل والحوكمة والتوزيع للمكتبة المعاد تصورها والتي تم تنشيطها.

يختتم هذا الكتاب بـ "Coda: Library Futures "، ويناقش النتائج التي توصل إليها والإشارة نحو مسار بديل للمكتبات، مسار يضعها في إطار أقل كأداة للمدينة الذكية من كونها ترياقًا لها، في خدمة التأثيرات المختلطة للثقافة الرقمية.

ما أصبح واضحًا من خلال هذا البحث هو مدى تقدير الناس ورغبتهم في الحفاظ على الغلاف الجوي الفريد للمكتبة، وكيمياء النظام المكاني، والنسب التاريخي، والشعور بالهدف المشترك بين أولئك الذين يستخدمونها، كما إن هؤلاء المستخدمين يقدرون المكتبة كمساحة للدراسة والبحث، ويقدرونها على أنها مساحة للانفصال - سواء عن التكنولوجيا الموجودة في كل مكان أو عن الانحرافات عن العالم الخارجي- هذا ليس فقط لأن التكنولوجيا تُنفر أو لأنهم يشعرون بالحنين إلى ماضٍ أكثر تقييدًا واستقرارًا. بدلاً من ذلك، فإن انجذابهم إلى المكتبة يتعلق بالسعي للحصول على راحة مؤقتة من الكثير من الاتصالات، من الضغوط والإكراهات التي ينتجها الاتصال، ويفضل الكثيرون استخدام المفكرة والقلم أو ببساطة الهروب من صخب المدينة المحيط بهم.

ويرى أن المكتبات قد تتكيف بشكل مثمر مع التقنيات الرقمية لتحقيق أهداف وطموحات المدينة الذكية، لكنها تنضج كمؤسسات عندما تستجيب للآثار الإيجابية والسلبية للتكنولوجيات في الثقافة الرقمية، ففي الثقافة الرقمية يبحث الناس بلا شك عن مساحات للانفصال والتأمل الهادئ بقدر ما يسعون للوصول إلى المعلومات على مدار 24 ساعة وخدمة

الإنترنت المجانية. وأكد على أن المكتبة التي تدرك هذا، بالتأكيد، مؤسسة تساهم في تجسيد أعمق وأكثر فاعلية للمدينة الذكية، حيث لا يقتصر الاتصال في الثقافة الرقمية على الروابط الجانبية بين الأشخاص، وكذلك بين الأشخاص والمعلومات والمنظمات، والمؤسسات، والمنتجات، والمنصات، كما يتم التعبير عن الاتصال عبر الزمن، حيث يقدر العديد من المستخدمين المكتبة كطريقة للتواصل مع الماضي، ليس بذكرياتهم الشخصية فقط، ولكن أيضًا لوضع أنفسهم في تاريخ عام مشترك، فالاتصال الزمني يدعم السرديات الشخصية والجماعية، كما أنه يدعم منظورًا أكثر دقة ونقدًا لضغوط وضرورات اللحظة الثقافية المعاصرة. فإذا استثمرنا في المكتبات وأدركنا قيمتها، فإن مستقبلها جزئيًا على الأقل لا يمكن تصوره؛ هذا لأنه مثل الحاجة إلى الانفصال في عالم شديد الترابط، أو الحاجة إلى الاتصال بالماضي المشترك في مجتمع موجه نحو المستقبل بلا هوادة، من الصعب توقع الآثار الاجتماعية والثقافية للتغير التكنولوجي والاقتصادي. بهذا المعنى، فإن إعادة التفكير في المكتبة كمؤسسة ضرورية للثقافة الرقمية يتطلب تطوير أداء وتقييم المكتبات العامة حالياً.

الكتاب حديث، وقيم وقام ببحث تطبيقي لكيفية تهيئة المكتبات لتكون ضمن رؤى المدن الذكية، ولذا ينصح باقتناؤه بالمكتبات العامة، وأيضاً بمكتبات أقسام المكتبات والمعلومات.